

وقد عاد الشاعر فذكر تلك الأبيات نفسها في خاتمة القصيدة ، لكنه أجرى تغييرا بسيطا في بعض كلماته ، وتحول من الاستفهام والسؤال إلى التقرير ، إذ يقول :

يا قلب ؛ مالك في اكتئاب لست تعرف ما تريد

ولهذا التحول في الأسلوب بين البداية والنهاية دلالة التي لا تخفى ؛ فالاستفهام يتناسب مع نقطة البداية لأى موقف ، وإثارته حينئذ تدفع إلى التفكير والبحث وتلمس الجواب ، وقد يتم العثور على جواب أو لا يتم ، ومن ثم يكون أسلوب التقرير - إيجابا أو سلبا - متسقا مع النهاية ، إذ هو بمنزلة الجواب عن ذلك الاستفهام . فالسياب ، إذن ، بعد أن جاب أقطار نفسه ، وفتش في حناياها ، واستبطن دخائلها لاستكشاف بواعث قلقه ، وعوامل اضطرابه وهمه ، ارتد في النهاية خائبا حسيرا مقرا بإخفاقه وعجزه عن الوصول إلى شيء .

ونلمح مثل هذا المنهج لدى محمد إبراهيم أبو سنه ، وإن يكن بغير الاستفهام ؛ ذلك أنه كرر عددا من سطور مقدمة قصيدته « المغنى وتفتح الأمير » في خاتمتها ، والتغيير هنا بإضافة سطر شعري قصير ، لكنها إضافة تحمل دلالة ، ويزيد بها التلاحم بين البداية والنهاية ، وهذه هى الأبيات التى تكررت فى الموضعين :

لا تخبروا الشجر
بأنها مذبوحة تنام فى النهر
ثديان أبيضان فى المياه
فواحد يلر باللبن
وواحد ينوح فى دماه
لا تخبروا الشجر

أما السطر الذى أضافه بعد ذلك فى الختام فهو قوله :
فسوف يذبل الشجر

وبهذه الإضافة أضاف اللثام عن سر النهى عن إخبار الشجر بمأساة الفتاة التى